المحاضرة الثانية حول:

الأوضاع الثقافية للمغرب العربي في أواخر العهد الزياني

- الأوضاع الثقافية للمغرب العربي في أواخر العهد الزياني:

خضعت الجزائر في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي(15م)، وخلال القرن السادس عشر (16 م) لتحولات كبيرة من الناحية السياسية التي كان لها تأثير واضح على الجانب الثقافي والاجتماعي؛ أي خلال القرن التاسع الهجري(09 هـ) الموافق للقرن الخامس عشر ميلادي(15 م) باعتبار هذه مرحلة التركة؛ التي ورثها العهد العتماني، فإنتاج القرن التاسع الهجري(09 هـ) كان في الواقع خاتمة لإنتاج فترة امتدت ثلاث قرون مبتدئة بعهد الموحدين. وكان في نفس الوقت فاتحة لإنتاج عهد العثمانيين بالجزائر، وهو العهد الذي إنتهى بدوره 1246 هجري (1830م)، ويقول أبو القاسم سعدالله في كتابه:" تاريخ الجزائر الثقافي" أن دراستنا لإنتاج القرن التاسع(09) سيتضح أنه: "حلقة من إنتاج عاش في ظل إمارات محلية ضعيفة وإنتاج عاش في ظل إختلال إسلامي مركزي قوي".(أبو القاسم سعدالله، ص-ص12-39)

إلا أن إنتاج القرن التاسع هجري(09 هـ) يعد من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي ونت أخصب عهودها من خلال أسماء المؤلفين أو العلماء، ويظهر ذلك من خلال إحصاء لأسماء العلماء المنتجينخلال القرن(09 هـ، 10 هـ، 11 هـ، 12 هـ) لوحظ أن عددها في القرن 09 هـ، يفوق أعدادهم في القرون الباقية، ولا سيما القرن العاشر الهجري (10هـ)، الذي عرف نقصا كبيرا في عدد العلماء والمؤلفين، وظل إنتاج القرن التاسع للهجرة(09 هـ) موضوع إهتمام وعناية من طرف علماء القرون اللاحقة، من خلال إعادة قرائته وبلورته من جديد بالتعليق عليه واتقليده ونحو ذلك من خلال تلاميذ القرن

العاشر للهجرة(10 هـ) الذين إعتبروا تلاميذ أوفياء لعلماء القرن التاسع للهجرة(09 هـ).

ويظل القرت التاسع للهجرة(09 هـ) من أهم الفترات التاريخية التي عرفت إنتاج علمي وفير، إلا أنها تميزت بالاضطرابات السياسية؛ التي كانت سبب عدم وضوح وثبات الحدود السياسية لجزائر القرن التاسع هجري.

فتسمية الجزائر عندئذ لم تكن تطلق إلا على مدين ساحلية صغيرة قليلة الأهمية، ولم تكن تعني بأي حال القطر الجزائري المعروف حاليا، فهذا المفهوم لكلمة الجزائر لم يصبح معروفا إلا منذ القرن العاشر الهجري(10هـ) أي أثناء الحكم العثماني، بل إن عبارة (المغرب الأوسط) التي أطلقها العرب المسلمون لم تكن تعني بالضبط حدود الجزائر الحالية؛ لأن هذه التسمية وأمثالها (المغرب الأدني، المغرب الأقصى) كانت غامضة وغير واضحة غموض حدود ّالإمارات الإسلامية الي تعاقبت على حكم المغرب العربي.

وتثبت خريطة القرن التساع الهجري(09هـ) السياسية أن المغرب العربي كان تحت نفوذ ثلاث (03) رئيسية هي:

- المرينية.
- الزيانية.
- الحفصية.

ومن التسامح فقط القول بأن الأولى (المرينية) كانت تحكم ما هو الآن المغرب الأقصى، والثانية (الزيانية) تحكم ما هو الآن الجزائر، والثالثة (الحفصية) تحكم ما هو الآن تونس. فجزء كبير من الشرق الجزائري اليوم

(قسنطينة، عنابة، بجاية، تتقرت) كانت تحت هيمنة الدولة الحفصية، وكان ما يعرف اليوم بالغرب الجزائري تحت نفوذ الدولة الزيانية؛ التي إتخذت قاعدتها في تلمسان، اما وسط القطر الجزائري الحالي فقد كان منطقة عازلة بين الحفصيين والزيانيين، ومن ثم فقد كانت منطقة صراع بين الدولتين.

ولذلك ظهرت فيه إمارات محلية صغيرة كانت تحتفظ بحيادها أحيانا أو تتبع الأقوى في أغلب الأحيان، ولم يكن التنافس حكرا على الحفصيين والزيانيين، بل تدخل في هذه المنافسة المرينين الذين كانوا ضد الزيانيين تارة وضد الحفصيين تارة أخرى، ليمتد الصراع الإقليمي إلى الصراع العائلي بين أفراد الأسر الحاكمة، وبذلك فقد كثرة الحروب وسادة الفوضى وعمت اللصوصية وإرتخى حبل الأمن. ويكشف كتاب الفارسية لإبن القنفد القسنطيني وكتاب النوازل للمازوني، وكتاب المعيار للونشرسي هذا التاريخ؛ لأن هذه المؤلفات معاصرة لهذه الأحداث؛ (أبو القاسم سعدالله، ص-ص39-41) إذ تعد هذه الكتب من أهم مؤلفات هذه المرحلة.

وقد ظهرت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، بعد سقوط دولة الموحدين؛ إذ إتخذت من تلمسان عاصمة لها، حيث كان تأسيسها على يد يغمراسنين سنة 962/633م (عبد العزيز قيبوج،2019، ص39)ومن أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الدولة الزيانية هو ضعف حكم الموحدين بعد هزيمتهم على يد النصاري، فكانت هذه الهزيمة بادية تفكك دولة الموحدين التي كانت تحكم المغرب والأندلس. (عبد العزيز قيبوج،2019، ص 40)

حيث تعتبر فترة حكم أبي حمو موسى الثاني (760/792هـ) من أزهى مراحل الدولة الزيانية، ففي عهده شهدت الدولة ازدهارا وتطورا في شتى المجالات الحياتية، خصوصا في مجال الحياة العلمية والثقافية؛ إذ شهت تلمسان عاصمة الزيانيين حركة ثقافية وعلمية نشطة في هذا العهد حيث أصبحت تلمسان من أهم الحواضر العلمية والثقافية في العالم الإسلامي، فقد تجلى هذا الإزدهار في مظاهر علمية وثقافية متعددة منها كثرة مراكز التعليم من مساجد ومدارس وزوايا، بالإضافة إلى كثرة العلماء بالمدينة وظهور العديد من المؤلفات التي تنوعت ما بين العلوم النقلية والعلوم العقلية إذ كان لهذه النشاطات تأثير وإشعاع ثقافي كبير في مدينة تلمسان بل إمتد لشمل المغرب والأندلس.(الطمار محمد، 1981، ص-ص10-19).

قائمة المراجع المعتمدة في المحاضرة:

01/- أبو القاسم سعدالله،(1998)، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هجري**، الطبعة 01، الجزء الثاني، دار العرب الاسلامي، الجزائر.

02/- أبو القاسم سعدالله،(1985)، **تاريخ الجزائر الثقافي** 1500-1830، الطبعة 02، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

03/- الطمار محمد: **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981، الجزائر.

04/- قيبوج عبد العزيز: **الحياة الثقافية والأدبية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني**، مجلة تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، المجلد03 العدد02، 2019.